

الخطبة المبركة

مِيثَاقُ الصَّبَاحِ

مَنْقُولٌ مِنَ التَّحْقِيقِ الصَّوْتِيِّ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ
صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْعُصَيْمِيِّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَسْرَائِهِ وَلِأُمَّتِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى

الحمد لله العزيز الرحيم، ربّ السّماوات وربّ الأرض ربّ العرش العظيم؛ الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى، وميّز النّاس بالعقول والنّهى.

وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة الموحّدين، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله وصّفوته من الخلق أجمعين، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتّبعه مخلصا إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فأتقوا الله أيّها المؤمنون؛ فإنّ الله عزّ وجلّ أمركم بتقواه، وجعلها سرّ نجاتكم والحصول على رضاه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران].

واعلموا - رحمكم الله - أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلّقنا لِيَسْتَكْثِرَ بنا مِن قِلَّةٍ، ولا

لِيَسْتَعِزَّ بنا مِن ذِلَّةٍ، وإنّما خلّقنا لعبادته؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [الذاريات].

ولم تزل طريقة الشريعة: دوام التذكير بهذه الحقيقة صباح مساء، في مسالك مختلفة؛ توقظ القلوب وتنبهها أن المراد من وجودها في هذه الحياة: عبادة الله عز وجل.

ومن جملة ذلك: ما كان من هديه صلى الله عليه وسلم، وصار سنة لمن بعده: أنه كان صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ملة أبينا إبراهيم، حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين»^(١).

فلم تكن هؤلاء الكلمات الأربع من هديه الدائم صلى الله عليه وسلم إلا لإيقاظ النفوس، وتعريفها بأنها في هذه الدنيا موجودة لعبادة الله عز وجل، وأن ممّا يحيي ذلك في القلوب: تذكّرها بهؤلاء الكلمات الأربع؛ التي يعلن العبد فيها: أنه أصبح مُصبحاً على فطرة الإسلام، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ملة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

فأما فطرة الإسلام: فهي قبول التوحيد، وإرادة الهداية والحق، باعتقاد الاستسلام لله سبحانه وتعالى؛ فهذه هي فطرة الله عز وجل التي فطر الخلق عليها؛ بأن تكون قلوبهم سليمة مُريدة للحق، راغبة فيه، مُدعنة بالاستسلام لله عز وجل؛

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٧٤٣)، من حديث عبد الرحمن بن أبيزى رضي الله عنه.

لأنّه خالقها ورزقها ومُدبّرُها؛ ومتى وَعَتْ هذا لم يَكُنْ لها تَوَجُّهُ إلى غيره - سبحانه.

ولهذا ناسب أن تُردَفَ فِطْرَةُ الإسلام بالتذكير بكلمة الإخلاص، وهي (لا إله إلا الله)، التي يُعلن فيها العبدُ أنّه لا معبودَ حقٍّ إلا الله.

فإنَّ أنواعَ المعبودات في الدُّنيا كثيرةٌ، وكُلُّها معبوداتٌ باطلةٌ، وليس فيها معبودٌ حقٌّ إلا الله سبحانه وتعالى؛ فمن عبده كان مُخلصاً للدين له؛ إذ لا يُشرك معه غيره سبحانه وتعالى.

وإذا قال العبدُ بعد ذلك: (وعلى دين نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلّم)، فإنّه يُعلن البراءة من سائر الأديان؛ فإنَّ الدين الذي رَضِيَهُ الله عزَّ وجلَّ لنا هو دين الإسلام؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فلا يُقبل من العبد دينٌ سوى الإسلام، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فالدين المقبول من العبد بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلّم هو دين الإسلام؛ الذي جاء به أبو القاسم صلى الله عليه وسلّم.

فَكُلُّ دِينٍ بَعْدَ دِينِهِ مَنسُوخٌ، وَكُلُّ شَرْعٍ بَعْدَ شَرْعِهِ مَمْسُوحٌ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْخَلْقِ كَافَّةً إِلَّا أَنْ يَدِينُوا لَهُ بِالَّذِينَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ يَقُولُ الْعَبْدُ بَعْدَ ذَلِكَ: (وَعَلَى مِلَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

وَحَقِيقَةُ حَنِيفِيَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِقْبَالُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَتَعَلُّقُهُ بِهِ، وَوُثُوقُهُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ؛ فَلَا يَكُونُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ إِقْبَالٌ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ؛ فَتَوَكُّلُهُ وَإِرَادَتُهُ وَخُضُوعُهُ وَمَحَبَّتُهُ كُلُّهَا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَاسْتِعَانَّتُهُ وَاسْتِغَاثَتُهُ وَاسْتِعَاذَتُهُ كُلُّهَا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتُ الْأَرْبَعُ الَّتِي كَانَتْ مِنْ هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصْبَحَ، وَصَارَتْ مِنْ بَعْدِهِ ذِكْرًا مِنْ أَذْكَارِ الصَّبَاحِ = إِعْلَانٌ بِالْعُبُودِيَّةِ الْكَامِلَةِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ إِذْ يَقُولُ الْعَبْدُ: (أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ).

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.



الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً حمداً، والشُّكر له توالياً وتترا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له معبوداً حقاً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صدقاً.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ.

أمّا بعد:

أيّها المؤمنون!

إِنَّ قَوْلَ أَحَدِنَا إِذَا أَصْبَحَ: (أصبحنا على فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) هُوَ عَقْدٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ.

وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١].

فَجَرَيَانَ اللِّسَانِ بِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَارِنَهُ اعْتِقَادُ الْقَلْبِ، مَعَ عَمَلِ الْجَوَارِحِ
وَالْأَرْكَانِ؛ بَأَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُمَثِّلًا لِحَقِيقَةِ هَذَا الْعَهْدِ الَّذِي يُرَدِّدُهُ بِلِسَانِهِ؛ بَأَنْ
يَكُونَ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فَتَكَرَّرها كُلَّ صَبَاحٍ تَذْكِيرٌ بِهَذَا الْعَهْدِ، وَإِعَانَةٌ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ؛ فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ
أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْوَفَاءِ بِهَذَا الْعَهْدِ، وَأَنْ يَتَفَطَّنَ لِمَعَانِيهِ، وَأَنْ يَعْمَلَ بِمَا فِيهِ، وَأَنْ
يَذْكُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

○ فَأَنْتَ قَدْ أَصْبَحْتَ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَغَيْرُكَ قَدْ أَصْبَحَ وَقَدْ غُيِّرَتْ
فِطْرَتُهُ وَبُدِّلَتْ.

○ وَأَنْتَ أَصْبَحْتَ عَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَغَيْرُكَ قَدْ أَصْبَحَ عَلَى كَلِمَةِ
الشُّرْكِ.

○ وَأَنْتَ قَدْ أَصْبَحْتَ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَغَيْرُكَ قَدْ أَصْبَحَ
عَلَى غَيْرِ دِينِهِ.

○ وَأَنْتَ قَدْ أَصْبَحْتَ عَلَى مِلَّةِ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَغَيْرُكَ لَمْ
يُصْبِحْ عَلَى تِلْكَ الْمِلَّةِ.

فَاعْرِفُوا قَدْرَ مَا وَصَلَ إِلَيْكُمْ مِنَ النِّعْمَةِ، وَقُومُوا بِشُكْرِهَا؛ قَالَ سَفِيَانُ بْنُ
عُيَيْنَةَ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ نِعْمَةً أَعْظَمَ مِنْ أَنْ عَرَّفَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

فَاعْرِفُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ؛ إِذْ جَعَلَكُمْ مُصْبِحِينَ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى
كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ النِّعَمَ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مِنَ النِّعَمِ، وَإِذَا فَاتَ غَيْرُهَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ
ضَارًّا بِالْعَبْدِ، وَإِنْ فَاتَتْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعُ كَانَتْ هِيَ خَسَارَةَ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يُصْبِحُ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ،
وَعَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،
حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا بِالْإِسْلَامِ قَائِمِينَ، وَاحْفَظْنَا بِالْإِسْلَامِ قَاعِدِينَ، وَاحْفَظْنَا
بِالْإِسْلَامِ نَائِمِينَ.

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ
وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الرَّاشِدِينَ.

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا إِتْيَانَ الْخَيْرَاتِ، وَأَعِنَّا عَلَى فِعْلِ الْحَسَنَاتِ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ.

اللَّهُمَّ أَحْنِنَا عَلَى خَيْرِ حَالٍ، وَتَوَفَّنَا عَلَى خَيْرِ حَالٍ، وَاقْلُبْنَا جَمِيعًا إِلَى خَيْرِ
الْمَالِ.

اللَّهُمَّ أَحِينَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، وَتَوَفَّنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، وَاحْشُرْنَا
جَمِيعًا فِي حِزْبِ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللَّهُمَّ فَرِّجْ كُرْبَ الْمَكْرُوبِينَ، وَنَفْسَ هُمُومِ الْمَهْمُومِينَ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَنِ
الْمَدِينِينَ، وَاشْفِ مَرَضَنَا وَمَرَضَانَا وَمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا بِتَوْفِيقِكَ، وَأَيِّدْهُ بِتَأْيِيدِكَ، وَارْزُقْهُ الْبَطَانَةَ النَّاصِحَةَ
الصَّالِحَةَ، وَجَنِّبْهُ بَطَانَةَ السُّوءِ.

